الاتحاد العربي للمدارس الخاصة
Arab Private Schools Federation

الكسوف والخسوف

رسائل كونيّة للبشريّة

زاحم ساحات الجهل والباطل، يرجى نشر ما تقرأ من علم وحق، ولا تصمت صوتك في الحق

360 KNO SMART SCHOOLING
ADVANCE THROUGH TECHNOLOGY
unicef
UNESCO
United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization
GenEx
Generational Education Exchange
تمكين TAMKEEN
UNIVERSITY OF VICTORIA LONDON - UK
AMIEE
American International Education Federation

د. خميس بن عبيد العجمي

رئيس الاتحاد العربي للمدارس الخاصة

رئيس مجلس أمناء مدارس كينو الخاصة بسلطنة عمان

منذ فجر التاريخ، كانت وما تزال هناك ظواهر كونيّة تأسر البشريّة في لحظة واحدة، فتجد الزمن يتوقّف، والأنفاس تتجمّد، وتتّجه الوجوه نحو السماء حيث يحدث شيء استثنائي، فالشمس التي لا تغيب إلا لليل تختفي في وسط النهار، والقمر المنير يفقد بريقه في عتمة تدريجيّة، فنحن أمام لحظات الكسوف والخسوف..

لكنْ:

- ما الذي يحدث وراء هذا المشهد؟
- وما الذي تحمله هذه اللحظات الاستثنائيّة من رسائل عميقة للإنسانيّة جمعاء؟
- وما الذي يريد الكون قوله بهذه الظواهر؟

ففي عالمنا المعاصر الملي بالغطرسة التكنولوجيّة والثّقة المفرطة بالقدرات البشريّة، يأتي الكسوف والخسوف كتذكير هادئ لكنّه قويّ بمحدوديّتنا البشريّة، ففجأة، نجد أنفسنا أمام قوى كونيّة تتجاوز سيطرتنا تماماً، وتذكّرنا بأنّنا مجرّد رحّالة على كوكب صغير في محيط لامتناه من النّجوم والمجرّات..

وهذا التّواضع الكونيّ ليس مجرّد شعور فلسفيّ، بل ضرورة إنسانيّة، فالإنسان الذي يدرك موقعه الحقيقيّ في الكون هو إنسان أكثر حكمة وأقل ميلاً للظّلم والاستبداد، فهو يدرك أنّ القوّة الحقيقيّة لا تكمن في التّسلّط على الآخرين، إنّما في التّناغم مع النّظام الكونيّ العظيم....

فالكسوف والخسوف لغة عالميّة، تظهر الجمال المختلط بالرهبة، فلا يحتاج الإنسان إلى ترجمة ليفهم هذه اللغة، فهي محفورة في وجدانه منذ الأزل، وهذا الجمال الكونيّ يوحّد البشريّة في لحظة واحدة، فنجد العالِم والمفكّر والفلاّح والأميّ، جميعهم يقفون تحت السّماء ذاتها يتأمّلون المشهد ذاته...

وتاريخياً، فقد كانت هذه الظواهر محطّات مهمّة لاستيقاظ الضّمير الجمعيّ، ففي مجتمعات مختلفة عبر التاريخ، كان الكسوف والخسوف مناسبات للمراجعة الذاتيّة والاجتماعيّة، فتجد العديد من الأشخاص يتوقّفون عن أنشطتهم اليوميّة، يتأمّلون، يعيدون تقييم علاقاتهم مع بعضهم البعض ومع الوجود، وهذا التوقّف الجماعيّ ليس مجرّد خوف بدائي، بل حكمة عميقة، ففي عالم يتسارع باستمرار، نحن بحاجة ماسّة لهذه اللحظات التي تجبرنا على التوقّف والتأمّل، فهي فرصة للخروج من دوّامة الحياة اليوميّة والنّظر إلى الصورة الأكبر....

وما يعدّ واحداً من أجمل المشاهد الإنسانيّة خلال الكسوف الكليّ هو رؤية النّاس من مختلف الخلفيات - الدينيّة والثقافيّة والاجتماعيّة - وهم يجتمعون في ساحات المدن والشوارع، يتشاركون النظّارات الواقية، يتبادلون التعليقات والمشاعر، ففي هذه اللحظات، تذوب الحواجز وتسقط الأقنعة الاجتماعيّة في لحظات نادرة تكشف عن الطبيعة الإنسانيّة الأصيلة، وميلنا الفطري للتّجمّع والتّشارك أمام الظواهر التي تتجاوز فهمنا المباشر...

ففي لحظات الكسوف والخسوف، تبدو اهتماماتنا اليومية صغيرة وتافهة، فالصّراعات حول المال والمناصب، والقلق بشأن وسائل التواصل الاجتماعيّ، وحتّى مشاكل العمل الملحّة - كلّ ذلك يبدو في منظوره الصحيح أمام عظمة الكون، وهذا لا يعني أنْ نتجاهل مسؤولياّتنا، بل أنْ نضعها في سياق أوسع، فالإنسان الذي يدرك مكانه في الكون يصبح أكثر قدرة على التّمييز بين ما هو مهمّ حقاً وما هو مجرّد ضوضاء....

ومن المنظور الدينيّ الإسلاميّ، فالكسوف والخسوف ليسا مجرّد ظواهر طبيعيّة، بل آيتان من آيات اللّٰه العظيمة يخوّف بهما عباده، فكما أخبرنا الحبيب المصطفى ﷺ: "إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات اللّٰه، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا اللّٰه وكبّروا وصلّوا وتصدّقوا"، فهذا التوجيه النبويّ يحمل في طيّاته حكمة بالغة تتجاوز البعد الفردي لتشمل البعد الجماعيّ، فالمجتمع الذي يتوقّف عن أنشطته عند حدوث هذه الظواهر، ويتّجه بقلبه وعقله نحو الخالق، هو مجتمع يدرك أنّ هناك قوّة أعظم من قوّته، وحكمة أسمى من حكمته....

ARAB-PSF.COM

ففي هذه اللحظات، يدعو الإسلام إلى التوبة الجماعيّة والإقلاع عن المعاصي، ليس خوفاً من الظاهرة ذاتها، بل استجابة لدعوة الخالق لعباده للرجوع إليه، فهي فرصة ذهبية لمراجعة النفس والمجتمع، والتّفكّر في مدى التزامنا بالقيم الإنسانيّة الساميّة...

وما صلاة الكسوف التي شرعها الإسلام إلاّ تجسيد لهذا المعنى بوضوح - فهي ليست مجرّد طقوس وشعائر دينيّة، إنّما تجربة روحيّة جماعيّة تعيد ترتيب العلاقة بين الإنسان وخالقه، وبينه وبين الكون من حوله، وهي دعوة للتواضع أمام عظمة الخلق، ولإحياء الضمير الذي قد تكون قسوة الحياة قد أضعفته...

والجميل في المنظور الإسلامي أنّه لا يتناقض مع العلم الحديث، فمعرفة مواعيد الكسوف والخسوف بدقّة رياضيّة لا تنفي كونهما آيتين وتخويفاً من اللّه، بل على العكس تماماً، فهذا النظام الدقيق المحكم يزيد من إعجازنا بحكمة الخالق الذي أتقن كلّ شيء خلقه، فالإيمان الحقيقيّ لا يخاف من العلم، والعلم الحقيقيّ يقود إلى مزيد من الإيمان بعظمة هذا الكون وخالقه.

فالكسوف والخسوف يحدثان في دورات منتظمة يمكن التنبؤ بها، وهذا النظام الدقيق يعلّمنا درساً مهماً عن الحياة، بأنّ كلّ شيء له وقته وموسمه، فهناك أوقات للضوء وأوقات للظلمة، أوقات للنشاط وأوقات للهدوء، ففي عالم يحاول إلغاء الدورات الطبيعيّة من خلال الإضاءة الاصطناعيّة والعمل على مدار الساعة، تأتي هذه الظواهر لتذكّرنا بأهمية احترام الإيقاعات الطبيعيّة، فالصّحة النّفسيّة والجسديّة تتطلّب فهماً لهذه الدّورات والتّناغم معها.

وما الخوف الذي نشعر به أثناء هذه الظواهر إلاّ أمر طبيعيّ لا نقيصة أو عيب، وهو ميزة إنسانيّة مهمّة، يذكّرنا بهشاشتنا وبأنّنا لسنا أسياد الكون، وهذا الخوف الصحيّ يمكن أنْ يكون محرّكاً قوياً للنموّ الشخصيّ والروحيّ، فالمجتمعات التي تفقد القدرة على الشعور بهذا النوع من الخوف - الخوف الذي يقود إلى التأمّل لا الشلل - تصبح مجتمعات متعجرفة ومدمّرة للبيئة والآخرين.

ARAB-PSF.COM

وأجمل ما في هذه الظواهر هو انتهاؤها، فالشمس تعود لتشرق بكامل بهائها، والقمر يستعيد نوره الفضي، وهذا التجدّد الدوريّ يحمل رسالة أمل عميقة، بأنّه مهما اشتدت الظلمة، فهي مؤقتة، ومهما بدت الأزمات مستحكمة، فهي إلى زوال، وهذا الدرس له أهمية خاصّة في عصرنا المليء بالأزمات، فالتاريخ يعلّمنا أنّ الإنسانيّة قادرة على تجاوز أصعب التحدّيات، تماماً كما أنّ الضوء قادر على اختراق أعتى الظلمات...

فنحن بحاجة لإعادة إدماج هذه التجارب الكونيّة في تربيتنا لأجيالنا الجديدة، فالطفل الذي ينشأ وهو يدرك أنّه جزء من نظام كوني عظيم سيصبح إنساناً أكثر تواضعاً ومسؤوليّة، وسيفهم أنّ أفعاله لها تأثير يتجاوز حدوده الشخصية، فالتربية الكونيّة لا تعني تجاهل العلم، بل على العكس، تعني فهماً أعمق للعلم في سياقه الأوسع، فالعالم الحقيقيّ هو الذي يجمع بين الدّقة العلميّة والحسّ الإنسانيّ العميق....

فإذا كانت هذه الظواهر تذكّرنا بجمال الكون، فهي تذكّرنا أيضاً بمسؤولياّتنا في الحفاظ على هذا الجمال، فالتّلوث الضوئيّ في مدننا الحديثة يحرم أجيالاً كاملة من رؤية جمال السماء الطبيعيّ، والتّلوث البيئيّ يهدّد النظم البيئيّة التي تجعل مثل هذه المشاهد ممكنة، فالحفاظ على البيئة ليس مجرد قضية علميّة أو سياسيّة، بل قضية جماليّة وروحيّة عميقة، فنحن مسؤولون عن ضمان أنّ الأجيال القادمة ستتمكّن من الوقوف تحت سماء صافية ومشاهدة هذه العجائب الكونيّة....

ARAB-PSF.COM

وفي نهاية المطاف،

فالكسوف والخسوف يحملان رسالة واحدة بسيطة لكنّها عميقة، رسالة بأنّنا جميعاً نعيش على الكوكب ذاته، تحت السّماء ذاتها، نتأثّر بالقوى الكونيّة ذاتها، ومشاكلنا الأرضيّة - مهما بدت معقّدة - تبقى صغيرة أمام عظمة الوجود، وهذا لا يعني التّقليل من شأن هذه المشاكل، بل وضعها في منظور صحيح...

فعندما ندرك أنّنا جميعاً مسافرون في رحلة عبر الكون اللانهائي، لربّما سنصبح أكثر حكمة في التّعامل مع خلافاتنا، وأكثر تعاوناً في مواجهة تحدّياتنا المشتركة...

فالكسوف والخسوف يذكّراننا بأنّ أجمل اللحظات في الحياة هي تلك التي نتوقّف فيها عن الجري ونرفع أعيننا نحو السماء، ففي هذه اللحظات، نتذكّر من نحن حقّاً – لا ككائنات منشغلة بمشاكلها اليوميّة، بل كجزء من قصة كونيّة عظيمة لا تزال تُكتب، فلنجعل من هذه اللحظات النادرة محطّات للتّأمّل والتّجديد، ونقاط انطلاق نحو حياة أكثر عمقاً ومعنى، حياة تليق بمكانتنا كشهود على جمال الكون وحرّاس لهذا الجمال للأجيال القادمة...

وختاماً، فالوطن العربي الليلة على موعد مع خسوف كامل للقمر أو ما يسمى بخسوف القمر الدموي وهو مزيج مذهل من الهندسة الفلكية والفيزياء البصرية، وهو تذكير بقبّة سمائنا الديناميكية وتأثير غلافنا الجوي في تحويل حدث فلكي مظلم إلى عرض مضيء باللون القرمزي، والذي يمكن أنْ يستمر لمدّة تصل إلى ساعة و 45 دقيقة تقريباً، ممّا يتيح وقتاً طويلاً للمشاهدة والتأمّل...

ARAB-PSF.COM